

العولمة والتحويلات الدولية في مجالي الاتصال والثقافة

د. المنصف العياري (تونس)

يتميز الفضاء الدولي حاليا بمتغيرات متلاحقة ومتسارعة شملت جميع ميادين العلاقات بين مكونات هذا الكون. وقد شملت التحويلات التبادلات التجارية للسلع والخدمات وكذلك القيم والمعايير. وقد ساهمت تكنولوجيات الاتصال المتطورة بنسق مذهل في إلغاء الحواجز الجغرافية ساعية إلى تكريس فضاء كوني واحد موحد يكرس هيمنة المتمكن من هذه التكنولوجيات على غيره. كما تسمح هذه التكنولوجيات ببث خطاب أحادي حسب نمط معين يكرس الهيمنة والذوبان وسيطرة الأقوى اقتصاديا وعلميا ومعرفيا واتصاليا.

وبرز مفهوم العولمة بمختلف التعريفات التي التصقت به حسب الإيديولوجيات والمواقع والمواقف المختلفة. ولن نخوض من خلال هذه المداخلة في الجدل القائم بخصوص تعريف هذا المفهوم الواضح في غموضه والغامض في وضوحه. وسنركز على أبرز تجليات العولمة على المستويين الاتصالي والثقافي باعتبار أن الاتصال بمختلف فنونه ييسر تدفقا لمعلوماتيا متعدد المحتويات اقتصاديا وسياسيا واجتماعيا وغيره. كما تمثل وسائل الاتصال الحديثة قنوات الترويج للرسائل الثقافية. ونقصد بالثقافة ذلك المفهوم الواسع الذي يشمل كل القطاعات.

لقد أصبح الحديث مركزا على مفهوم المجتمع الكوني النمطي الموحد والمبني على المعرفة. ومن تجليات المعرفة توظيفها في مجالي الإعلام والاتصال والثقافة.

ولا يمكن لأي كان أن ينكر التأثير المباشر وغير المباشر والعاجل والآجل لتدفق المعلومات والأفكار والأنماط والقيم التي تحملها العولة أو تبشر بها وخاصة تلك التي يتم نقلها وترويجها عبر جهاز التلفزيون الذي يؤثر بطريقة أو بأخرى في المتقبل المفرد وسنحاول في هذه المداخلة الوقف عند أبرز سمات هذا المجتمع الكوني الجديد القائم على التشبيك في علاقته بمفهوم العولة. وقد بدأت ترسم ملامح هذا المجتمع وهو مجتمع المعرفة.

1- مجتمع المعرفة والاتصال

إن التطورات التكنولوجية المتسارعة والمتلاحقة كرسّت قواعد مجتمع المعرفة والاتصال. وهو مجتمع تمثل فيه التكنولوجيا " عامل تحديث وخلق للموارد وتحسين المنافسة... وهي بشكل عام محرك أساسي في التنمية الاجتماعية والاقتصادية"(1)

إن العصر الحالي يقوم على التحكم في المعرفة وفي الاتصالات والمعلومات. وأصبحت المعرفة والمعلومة أحد الموارد الأساسية في اقتصاديات الغد.

(1) البحث العلمي والتحكم في التكنولوجيا في خدمة التنمية الاقتصادية. قراءات استراتيجية، الاستشارة الوطنية حول تونس القرن 21، المعهد التونسي للدراسات الاستراتيجية، تونس 1955.

لقد أصبحت درجة تقدم الشعوب والمجتمعات تقاس حسب درجة تمكنها من أسباب العلم والمعرفة. وأصبح مفهوما التقدم والتخلف مرتبطين شديد الارتباط بمفهوم المعرفة. والمعرفة هنا بمفهومها الواسع الذي يشمل كل الميادين من اقتصادية واجتماعية ومعلوماتية واتصالية.

ولعل أبرز مجالات التمكن من المعرفة في العصر الراهن هي المعرفة الاتصالية والمعلوماتية. وقد أصبحت تكنولوجيات الاتصال الحديثة تتدخل في كل مجالات النشاط الإنساني وتسمح بإقامة ارتباطات متعددة بين مختلف المجالات وبين مختلف الفاعلين فيها. وان الدول والمجموعات التي لا تركز آليات تيسير هذه الارتباطات تعيش على هامش مجتمع المعرفة.

وقد ظهر اقتصاد الشبكات كمفهوم جديد في العلاقات بين الدول والأفراد داخل الدولة الواحدة.

إن تكنولوجيا الاتصال تتدخل في مجمل القطاعات الصناعية والاقتصادية عموما من خلال البرمجيات الإعلامية والخدمات السمعية البصرية.. وأصبحت تكنولوجيا الاتصال تمثل طابعا استراتيجيا بفعل وزنها الاقتصادي ولأنها وراء العديد من المنتجات والخدمات الجديدة والابتكارات. وتؤدي وسائل الإعلام وشبكات الاتصال ثلاثة أدوار رئيسية في مسار العولمة:

❖ تمثل آلية أساسية للعولمة الاقتصادية باعتبارها تيسر التبادل الفوري واللحظي (Echange instantané) والتوزيع على مستوى الكوني

للمعلومات الاقتصادية التي تضمن سير دواليب الشركات الكبرى. ولا يمكن أن نتصور اقتصاد العالم اليوم، الذي أصبح اقتصاديا معولما، دون اتصال.

❖ ترويج الإيديولوجيا الليبرالية الكونية انطلاقا من الدول الصناعية الكبرى والمؤسسات الاقتصادية الضخمة.

❖ تساهم في خلق أشكال جديدة للتضامن ولمفهوم المواطنة وللتعارف والتعاون والممارسة الاجتماعية بين الأفراد عبر الشبكات.

وقد يسر التطور التكنولوجي بروز الإعلام أو المعلومة كسلطة ووسيلة تحول المجتمعات وتغيرها وكشرط أساسي من شروط التنمية. ولكن هذه الطفرة الإعلامية والاتصالية ساهمت في تعميق الهوة بين الدول السائرة في طريق النمو والدول المصنعة باعتبار أن تكنولوجيا الإعلام والاتصال المتركة بين أيدي دول ومجموعات مصنعة لها أهداف وأغراض معينة تساهم في نمذجة مجتمع الغد وتوحيده حسب مقاييس جديدة تركز النمطية والتخلص من كل القيم والثوابت.

لكن المفروض أن الثورة التكنولوجية وتطور الشبكات ووسائل الإعلام تضاعف فرص ووسائل التعاون والمشاركة والاتصال من أجل التفاعل لا من أجل بسط الهيمنة والنفوذ.

ولكن عولة التكنولوجيا وتكنولوجيا العولة ستعود بالفائدة فقط على المتكئين من المعرفة بمختلف أوجهها من تعامل مع الإنترنت ومستوى تعليمي راق ومعرفة ممتازة بعديد اللغات واطلاع واسع على الثقافات...

وبعد استعراض البعض من خصائص مجتمع المعرفة والاتصال، وجب التوقف عند أهم محطات التحولات في المجالين الاتصالي والثقافي.

2- أهم التحولات في المجالين الاتصالي والثقافي،

امتدت العولمة إلى تركيبة الأنماط الثقافية والممارسات السلوكية " فأحدثت تغيرات جوهرية شملت الوظائف التقليدية للثقافة والتربية ووسائل التثقيف" (1)

وأصبحت وسائل الاتصال الحديثة، بما تيسره من سرعة إنسيابية المعلومة، قنوات تمرير الأنماط الثقافية تمرير الثقافية والقيم التي يروج لها المتمكنون من التكنولوجيا مما طرح تساؤلات حول مستقبل الثقافات الوطنية وجدوى الحضور الفاعل في الفضاء الاتصالي المعولم.

- فضاءات الاتصال الحديثة

تداول مصطلحات ومفاهيم من قبيل عصر المعلومات والقرية الكونية وتقنيات الاتصال الحديثة والثورة الاتصالية وغيرها. وتلتقي كل هذه التعابير عند لفظ مركزي هو الاتصال. فنحن في عصر لا غنى فيه عن الاتصال مع الآخر. وكان التواصل بالنسبة إلى الإنسان، ومنذ القدم، حاجة ضرورية باعتبار أن الفرد لا يمكن أن يقبع في فردانيته منعزلا عن غيره جاهلا لتجاربه ومعارفه وخصوصياته. فالإفادة والاستفادة كانتا رغبة كامنة في قرارة كل كائن بشري.

(1) التلفزيون، الثقافة، الهوية، اتحاد إذاعات الدول العربية، سلسلة بحوث ودراسات إذاعية عدد 43، تونس 1999.

في القديم، كانت الحدود الجغرافية تعني أشياء كثيرة، أما اليوم فإنها مجرد حواجز عبور مادي. فقد أصبح بالإمكان إلغاء الحدود افتراضيا بمجرد الضغط على الأزرار ودون تحمل عناء الانتقال ومشقة التنقل. لكن محتوى الزيارة وما سنكتشفه وطبيعة ونوايا دليلك في الرحلة، هذه مسألة أخرى. فهذا الانتقال لا يخلو من مخاطر تحف بالخصوص على مستوى المحتويات الرائجة.

في القديم، كان الاتصال يتم في إطار القبيلة والحي والمجموعة السكنية بسهولة. وكانت فضاءات التلاقي وبالأخص المساجد، الأماكن التي تروج داخلها المعلومة ويتم فيها تبادل الآراء بخصوص عديد المسائل. ثم، وبتزايد العنصر البشري وتكاثره واتساع رقعة البنين، كانت الأخبار ترد عن طريق التجار الذين يجولون بقوافلهم مختلف الأقطار والأمصار. لكن هذه الأخبار كانت تفتقد لعنصر الآنية مما يفقدها الأهمية الفورية. وخلال كل هذه المراحل، كان الإنسان ينفر من الشعور بالعزلة. وهو شعور لم يعد يعني أن نعلم بحال الآخر القريب منا بل أن تعلم كذلك بحال الآخر البعيد.

كان ظهور التجمعات البشرية لبداية التفاهم الإنساني باستخدام الإشارات. ثم تطورت العملة باعتماد اللغة وجاء الكلام ليعبر عن الفكرة ووجهة النظر والحاجة. وتجمعت البشرية عن طريق المنطوق. ثم تم اختراع الكتابة التي مرت بعدد المراحل. وظهرت فيما بعد الطباعة في منتصف القرن الخامس عشر. وتتابع اختراعات (الهاتف والتلغراف والصور والسينما والتلفزيون). وشهد القرن العشرون ميلاد وسائل اتصال جماهيري

أكثر أهمية تمثلت أساسا في الوسائل الإلكترونية. وبرز مجتمع استهلاكي من نوع جديد يعبر عن رغبته في الحصول على المعلومة الفورية والخدمات السريعة (شراء السلع والبضائع والتعامل مع البنوك...) وعن رغبة في نقل الرسائل بسرعة تواكب سرعة حركة المجتمع وباستخدام وسائل جديدة مثل البريد الإلكتروني وتخزين الصورة والفاكس السريع.

وقد حققت الطرق الجديدة أو الفضاءات الجديدة للاتصال الانتشار المذهل حتى أن مقياس التقدم والتخلف تغير جذريا. ولم تعد القدرة العسكرية أو عدد السكان من المؤشرات الهامة بقدر ما هو بالنسبة إلى عدد الحواسيب بحسب الأفراد وعدد القنوات الفضائية ودرجة من أسباب التجارة الإلكترونية والتخاطب عن بعد.

ولا يمكن الحديث عن الفضاءات الاتصالية الجديدة دون التركيز على أهمية الحواسيب التي تتيح قائمة طويلة وغير محدودة من الخدمات والمعلومات سواء للاستخدام الشخصي أو الارتباط مع حواسيب أخرى أو بنوك معطيات.

ويحقق الحاسب لنظام المعلومات مزايا السرعة والدقة والثقة والصلاحية مما يجعله يؤدي ما يطلب منه بكفاءة عالية على مستوى إجراء العمليات الحسابية الدقيقة والمعقدة وتخزين كم هائل من المعلومات. ولعل من أبرز مظاهر الثورة التكنولوجية ما تطلق عليه تسمية تكنولوجيا الوسائط المتعددة أو الملتيميديا. ونتجت هذه التطبيقات عن مزج علوم وتقنيات ثلاث هي الاتصالية والإعلامية والسمعية البصرية.

وقد أصبح الحاسب الباب الذي ندخل عبره فضاء رحبا يمثل في العصر الحالي أحد أبرز فضاءات الاتصال الحديثة وهو الانترنت. ويقول بيل غايتس عن هذه الشبكة العنكبوتية أو شبكة الشبكات "إنها المعلومة على أطراف الأصابع التي تساعد على تطوير أساليب التعليم وتشارك في تنشيط الإنتاجية وتدخل حيوية جديدة على المؤسسات. إنها ثورة في مجال الاتصالات"

ويقدم الإنترنت خدمات عديدة بل الأخرى أنه يتيحها ومنها:

-البريد الإلكتروني E-mail, Electronic Mail

-بروتوكول نقل الملفات File Transfer Protocol

-مجموعات الأخبار News Groups

- المحاولة المتبادلة على الإنترنت (IRC) Internet Rely Chat

-النشر الإلكتروني Electronic Publishing

-التسوق والتجارة الإلكترونية: لقد شاهد عالم الاقتصاد خلال

السنوات الأخيرة تغييرات وتحولات جذرية بميلاد نمط جديد في المبادلات التجارية. وقد تدخلت التقنيات الحديثة في وسائل الإنتاج.

والمنتجات وكذلك في طريقة الإنتاج ذاتها. وأصبحت المبادلات

التجارية تتم عبر الإنترنت من خلال قاعات العرض الافتراضية.

ومن مظاهر الثورة التكنولوجية في مجال الاتصال: الأقمار الصناعية.

وقد ساهمت هذه التقنية الاتصالية في تقليص المسافات وانهايار الحدود الجغرافية وتكريس مفهوم القرية الكونية الذي أوشكت الأحداث أن

تتجاوزه لتحدث عن البيت الكوني ولكن من هو صاحب القرار في هذا البيت؟ حتما هو المتمكن من هذه التكنولوجيا وهو الذي يملئ محتوى معيناً يرغب في ترويجه وفي أن يستهلكه متقبل سلبي لا يمتلك ناصية تكنولوجيا الاتصال.

ويغطي القمر الصناعي قرابة الأربعين في المائة من مساحة كوكبنا الأرضي. وقد ساهمت الأقمار الصناعية في تضاعف عدد القنوات الفضائية الإذاعية والتلفزيونية مما جعل الخبر والمعلومة متاحين لكل شخص في أي مكان وزمان ولكن ليس دون تضييقات ودون توجيه لأغراض معينة.

وشهد التلفزيون تطورات عديدة أفرزت التلفزيون التفاعلي الذي أتاح علاقة تفاعلية بين المشاهدة والتلفزيون. وأصبح بالإمكان اختيار المشاهدة بالإضافة إلى التلفزيون المدفوع. ولم تعد هيمنة البرامج المفروضة واردة بفضل التلفزيون الذكي الذي يمكن المشاهد في بيته من اختيار المضامين التلفزية. ولكن أية مضامين؟

ومن مظاهر الثورة التكنولوجية الاتصالية، نذكر أيضاً شبكات الكابل والكوابل المحورية. وهي شبكات تنقل البرامج التلفزيونية. وتسمح التقنيات الرقمية بنقل البرامج التلفزيونية والمعلومات ذات الدفق العالي Grand débit والاتصالات الهاتفية في آن واحد عبر هذه الشبكات التي يمكن بواسطتها في شبكة الإنترنت أو في الشبكة الهاتفية.

ونذكر أيضاً تكنولوجيا الألياف الضوئية Fibres Optiques. وتساعد هذه التكنولوجيا على تقديم مجال شاسع من الاتصالات. والألياف

الضوئية عبارة عن قوائم زجاجية تشبه خيوط العنكبوت وتسمح بمرور أشعة الليزر من خلالها. ويمكن أن يحل الضوء مكان الإشارات الإلكترونية التقليدية المستخدمة في خطوط الهاتف والراديو والتلفزيون ونقل بيانات الحاسب الإلكتروني.

ونضيف إلى كل ذلك اعتماد التقنية الرقمية في الإنتاج والبعث الإذاعي والتلفزيوني بدلا عن التقنية التناظرية أو التماثلية. ومكنت هذه التقنية من بروز الباقات الرقمية التي تعرض مجموعة من القنوات التلفزيونية والتي تتميز بإشارة ذات جودة عالية. ويتمس نظام الاتصال الرقمي بالنشاط والقوة التي تجعل الاتصال مؤسسا ومصانا كوحدة متكاملة عالية الجودة وخاصة في البيانات التي يكون فيها أسلوب الإشارات التماثلية مكلفا وغير فعال. ويتفوق الاتصال الرقمي في نقل المعلومات إلى مسافات بعيدة من خلال استخدام وصلات الألياف الضوئية التي تحافظ على قوة الاتصال من البداية إلى النهاية، وذلك على عكس الاتصال التماثلي الذي يضعف كلما طالت المسافة التي يقطعها.

إن هذه التطورات التكنولوجية المتعددة وغيرها في مجال الاتصال تركز تقسيم الكون إلى مجموعتين: واحدة متمكنة وأخرى تسعى إلى ذلك. ولكن قد لا يتركها المتمكن تدرك غايتها.

ولا بد من الإشارة إلى تكنولوجيا العملة "لم يقتصر جانبها الرئيسي على تكنولوجيا الاتصال وهي تكنولوجيا فائقة الأهمية، بل إنها أحد القواعد الرئيسية التي قامت وبنيت عليها، ولكنها تمتد إلى كافة مجالات

الحياة. فالعولة تطور طبيعي بدون فواصل مكانية أو زمانية، عالم بلا حدود جغرافية أو اجتماعية⁽¹⁾.

وسائل الاتصال الحديثة والمحتوى الثقافي

تيسر وسائل الاتصال الحديثة ترويج منتج ثقافي لا يتماشى بالضرورة مع كل المجتمعات وقسمها. وقد تحدث البعض عن اختراق ثقافي وفكري وقيمي أصبح ممكنا بفضل استغلال وسائل الاتصال المتطورة للتسويق والتبشير بإيديولوجيات معينة. ويخشى المدافعون عن الثقافات الوطنية من الذوبان داخل أشكال وأنماط ثقافية غريبة. إن الثقافة مفهوم واسع أصبح يشمل كل القطاعات لكنها تظل الخصوصية والمستقبل المواصل للماضي والحاضر. ولا يمكن بأي حال من الأحوال أن نتحدث عن ثقافة عالمية واحدة بل إن هناك ثقافات. ولا يمكن التعايش والإثراء مع الترويج لخطاب رفض الآخر وثقافته بل بالعمل على تغيير الظروف التي تدفع إلى ذوبان الذات والخصوصية.

وتلعب وسائل الاتصال والإعلام التي انتقلت من منطقة العرض إلي منطقة الفرض، دورا أساسيا في الترويج الثقافي إما للبناء المشترك أو لتفويق مجموعة على أخرى بنشر خطاب العنف والتعصب والكراهية وسامية هذه الثقافة أو تلك.

(1) د. الخضيرى (محسن أحمد): العولة الاجتياحية، مجموعة النيل العربية، القاهرة، 2001.

إننا إذا نظرنا إلى العولة، التي تركز فيما تركز، لتتجلى وتنتشر عالميا، على وسائل الاتصال كقنوات تروج مفاهيم ومعايير وقيم معينة توصف في غالب الأحيان بالكونية، من زاوية إيجابية، فإننا مدعوون حكومات وشعوبا إلى التجذر في الهوية دون التحجر والانغلاق وإلى الانفتاح على الآخر حتى نكون فاعلين على الساحة الكونية أخذا وعطاء دون الاقتصار على دور المتفرج والمستهلك السلبي للإنتاج الوافد والذي يغري شكله لتسري سموم محتواه فيما بعد. فالتحصين يقتضي قبل كل شيء تجاوز أزمة الهوية وكذلك الاعتزاز بالانتساب. وهذا الانتساب ذو مستويين: جماعي على مستوى جماعة تشترك في نفس القيم والعادات والتقاليد والأنماط الثقافية وعلى مستوى كوني أي مجموع بشر الكون. ولا يمكن أن نكون منتمين إلى المستوى الثاني دون جذور وانتماء أولي وأساسي حتى لا نكون مجرد أوعية جنوبية تنساب فيها مياه الشمال بعذبتها ومالحها.

الدولة الوطنية والمنتغيرات في المجالين الاتصالي والثقافي

إن دور الدولة الوطنية التقليدي كمتحكمة في طبيعة التدفق الإعلامي والثقافي، في طريقه إلى الاندثار في وقت تدخل فيه رسائل متعددة "البيوت الوطنية" من الخارج دون رقابة ودون إذن. ويرى البعض أن العولة تؤدي إلى تهميش سيطرة الدولة البيروقراطية على النشاط الاقتصادي والمعرفي والفكري.

ويمكن تلخيص المواقف من مصير الدولة الوطنية في عصر العولمة في الاتجاهين الرئيسيين التاليين:

- الاتجاه الأول يدعو إلى الإبقاء على الدولة ككيان إداري حاكم ولكن مع تحديث هذا الكيان وعصرنته للتكيف مع العولمة والتوافق مع متطلباتها. ومن أبرز مخاطر العولمة على الدولة الوطنية، تراجع مهام هذه الدولة واقتصارها على التسيير الإداري اليومي لسياسات وبرامج مفروضة من مؤسسات العولمة الدولية مثل صندوق النقد الدولي. ويمكن للدولة الوطنية أن تتحرك إزاء تضيق مجال تحركها، في إطار تكتلات اقتصادية بدلا من تكريس السياسات القطرية الضيقة.

- الاتجاه الثاني يرى أنه ليس هناك من داع لعدم الإبقاء على الدولة التقليدية. وهناك كيان إداري جديد كوني على مستوى الكرة الأرضية يتشكل الآن ويتعين الإسراع في تشكيله وتأييده ودعمه⁽¹⁾

لقد أصبحت الدولة الوطنية مدعومة إلى التعامل الرشيد مع ظاهرة العولمة على أساس أنها كفيلة بترويج ثقافة راقية تقوم على الاحترام المتبادل والاعتراف المتبادل على أساس التساوي. وليس من مصلحة أية دولة وطنية أن تروج لخطاب الانغلاق والانعزالية لأنه لا يوجد خيار غير الانخراط الواعي في مسار العولمة والتخلي عن كل مركبات الدولية وانتقاص الذات. فالذوات الوطنية أجزاء أساسية من الذات الكونية.

(1) د. الخضير (محسن أحمد): مصدر سابق

كما أن الدولة مطالبة بعدم الاكتفاء بمراقبة تدفق المعلومات وتطور الاتصالات مراقبة المنبهر السلبي، بل عليها ضبط استراتيجية التفاعل ورد الفعل.

فتحرك الدولة الوطنية يتم، في اعتقادي على مستويين أساسيين:

- العمل على الوقوف في وجه المظاهر السلبية للعولة الاتصالية الساعية إلى تفكيك المجتمعات والقضاء على أعرافها وقيمها وعاداتها وتقاليدها وبالتالي طمس معالم هويتها. ولا يتم ذلك بالسعي غير المجدي إلى إغلاق منافذ وصول المعلومة. فذلك من باب المستحيل ولكن بتنمية الحس الوطني والاعتزاز بالانتماء وإبراز إيجابية المساهمة الوطنية في الإثراء العالمي اجتماعيا واقتصاديا وإعلاميا. ومع كل ذلك، تسعى الدول الوطنية إلى إبراز المساوئ وتعريتها.

- العمل على الانخراط في مسار العولة الإيجابية وتسخيرها لخدمة المجتمع ومواكبة التطورات والسعي إلى اكتساب التكنولوجيات الحديثة بدعم البحث العلمي وتكوين القدرات البشرية المؤهلة لنشر خطاب متطور يستند إلى اقتناع بأن الاختلاف مصدر ثراء واثراء.

إن دور الدولة الوطنية خطير جدا بمعنى الأهمية. ويقتضي تجنيد كل الطاقات للوقوف في وجه السعي العربي إلى السيطرة والهيمنة على ثقافات الشعوب والهويات الوطنية وإلى احتلال العقل والتفكير الجنوبيين.

ولكي تتمكن الدولة الوطنية من مواجهة عولة الاتصال، وجب التحكم في التكنولوجيا. وتفترض هذا التحكم ضبط سياسة واضحة في ميدان البحث

العلمي وغرس الثقافة التكنولوجية والمعرفية في عقلية الأفراد. فالدول الصناعية المتمكنة من التكنولوجيا تنظر إلى البحث العلمي على أنه صناعة حقيقية مولدة للمهارات التكنولوجية.

وأصبح من الأدوار الجديدة للدولة " العمل الاستشاري للتعرف على الصناعات الواعدة.... منها الصناعات السمعية أو البصرية أو ما يسمى بصناعة المحتوى. ففي عالم الملتيميديا اليوم، تفوق صناعة المحتوى الذي يمر عبر شبكات الاتصال، صناعة الشبكات ذاتها"(1) ومن خصوصية صناعة المحتوى أنها تخدم هدفين لا يقل أحدهما عن الآخر:

- هدف اقتصادي بتأسيس صناعة كاملة وأعدة
- هدف سياسي، إذ نقدر بذلك على حماية هويتنا من خلال تثمين الحضارة والتراث، ونشيع قيمنا في الداخل والخارج ونتموقع في التنافس السمعي البصري الذي يغزو فضاءات العالم بصورة متسارعة.

الخلاصة : مستقبل عوامة الاتصال والثقافة

يعتبر البعض أن سياسة الفضاء المفتوح والتي تكرسها العوامة ستؤدي حتما إلى مزيد تقوية واضعاف الضعيف. وحجج أصحاب هذا الرأي تتمثل أساسا في " ان الفوارق في النمو ستزداد بين المجتمعات وداخلها وأن مناخ الكراهية سوف يتعمم ويحتد"(2) وهناك من يعتبر أن المستقبل تصنعه

(1)+(2) شعبان (الصادق): نهاية الجغرافيا وعودة التاريخ، نحن والعوامة، مؤسسات باباي، تونس

1999.

(2) شعبان (الصادق) : مصدر سابق.

المجتمعات حسب طبيعة فهمها للعولة وتعاملها معها، فإذا اعتبرنا العولة تحدياً فقط فإن ذلك يدفع إلى المجابهة والصدام. ولكن إذا اعتبرنا المستقبل فرصاً متاحة، وجب تهيئة المناخ المكاسب والرجعيات المشتركة لينتفع الجميع. وتتركز المقاربة الثانية على مبادئ أخلاقية تقر بتعدد المصالح وتنوع الهويات باعتبارها مصادر إثراء للزاد المعرفي البشري. وهكذا تكون العولة مزيداً من الفرص لفرض الذات والسعي إلى التلاقي والتبادل والحوار باعتبار أن الثقافة البشرية تحتاج إلى التنوع. وكل هيمنة تحرمها من الثراء الذي لا يكون إلا بالاختلاف.

ويطرح مستقبل عولة الاتصال والثقافة على مستوى الدولة الوطنية ضرورة التجديد الداخلي والتفاعل الإيجابي مع عوامل التقدم الخارجية. فالمهم هو الاستفادة من مكاسب الحداثة. فالدعوة ملحة للوقوف في وجه التهديدات التي تتعرض لها التعددية الثقافية والتنوع يهدف حماية حرية التعبير ودعم الانسياب الحر للإعلام والحق في الإعلام.

وإن الثورة التكنولوجية وتطور الشبكات ووسائل الإعلام عوامل تضاعف فرص ووسائل التعاون والمشاركة والاتصال. لذلك يجب ألا تكون الطرق السيارة للإعلام في اتجاه واحد. بل يتحتم مساعدة الدول النامية على دعم إمكانياتها وبنيتها التحتية التكنولوجية للاستفادة من الثورة الاتصالية في غايات تربوية وعلمية وثقافية حتى لا تبقى على هامش هذه الطرق. كل هذا بشرط ألا تكون هذه المساعدة غطاء آخر للهيمنة والتبعية.

المراجع

- د. أمين (جلال) العولة، دار المعارف القاهرة.
- د. الخضيرى (محسن أحمد): العولة الاجتياحية، مككوعة النيل العربية، القاهرة، 2001، 376ص.
- البحث العلمى والتحكم فى التكنولوجيا فى خدمة التنمية الاقتصادية، قراءات استراتيجية، الاستشارة الوطنية حول تونس القرن 21، المعهد التونسى للدراسات الاستراتيجية، تونس 1995.
- التلفزيون، الثقافة، الهوية، اتحاد إذاعات الدول العربية، سلسلة بحوث ودراسات إذاعية، عدد 43، تونس، 1999.
- شعبان (الصادق): نهاية الجغرافيا وعودة التاريخ: نحن والعولة، مؤسسات باباي، تونس، 1999.
- *La Mondialisation, sous la direction de Michel VAN CROMPHAUT, Ed. Convaincre Alain TREMISEAU, Paris, 258p.*
- *PROULX (Serge) : L'individu face à la mondialisation, In Sciences humaines, hors série n° 17, juin - juillet 1997, Paris, p62-64 .*
- *Ruano – Borbalan, jean Claude : Un seul monde, In Science humaines, hors série n°17, juin – juillet 1997, Paris, p.4-6 :*
- *DEMORGON (Jaques) : Complexité des cultures et de l'interculturel, Ed. Anthropolos, Paris, 1996, 318p.*
- *SAYYAD (Ahmed) : L'UNESCO : une vision pour le XXIe siècle, Publisud, Paris, 1999, 188p.*
- *Connaissance et mondialisation, Ed.Economica, Paris 2000/*
- *CASTELLS (Manuel) : La société en réseaux, Ed ; Fayard, Paris, 1998, 613p/*